

أي خارطة طريق بين مصر وتركيا



حاجة كل طرف هي المحكمة في مفاصل العلاقات وحدها في الفترة المقبلة، لأن الخصومة أخذت طابع التدويل منذ البداية، وكخارطة للتفاهم لا بد أن تراعى ذلك وإلا ستكون خالية من الضمانات، أو تدخل في إطار تعاطي مسكنات سياسية لتجاوز مرحلة مجهولة. يتأسس هذا الاستنتاج على التضارب بين التوجهين المصري والتركى، فالمساحات والفواصل بينهما ممتدة ويصعب طيها بمجرد غزل عفيف من مسؤول تركى لا أحد يعرف ما يحمله في باطنه، لأن فكرة خارطة في خطابه تتضمن حلولا نهائية لا رجعة أو صدفه فيها، بينما تلقح معها تسوية مؤقتة لمجرد سد حاجات عاجلة تفرض النقاط أنفاس لاستشراف طبيعة المرحلة القادمة.

بعض الدول على لوائح الإرهاب فيها، وقبول القاهرة بصفقة مرضية لها بحاجة إلى تعاون وتنسيق مع حلفائها أيضا. وميزة لأن هذا الملف يضع تركيا أمام مسؤوليتها الدولية ويجبرها على تقديم ضمانات بعدم التلاعب مستقبلا. يمكن القياس على ذلك في ملفات تبنت فيها مصر سلوكا إقليميا ودوليا منضبطا، ولم تغرد بمواجهة تركيا، وحرصت على أن يكون التصدي ذا أبعاد متينة، الأمر الذي يجعل خارطة التي أشار إليها جاويش أوغلو عنوانا عريضا من الواجب أن يراعى هواجس اختارت مصر أن تصبغها بإطار كبير، تحسبا من قيام أنقرة بممارسة الأعباء بخادعة. تتخطى عملية المصالحة بين البلدين بعدها الفئائي، ولن تكون

الصدام مباشرة بين البلدين غير مجد للطرفين، ويدركانه الآن ويعملان على استئثاره، كل بطريقته وأهدافه، ما يمنح حديث وزير الخارجية التركي مصداقية أكثر من ذي قبل. إذا كانت ملامح التفاهم غير مستبعدة لاحقا بين أنقرة والقاهرة، فأي خارطة طريق يمكن الائتلاف حولها، وأي قواعد يمكن أن يقبلها الطرفان بعد كل العناء، وأي صيغة توازنات تبدو مريحة في أزمنة إقليمية تتجاوز حدود البلدين، فهناك قوى أخرى ملتحمة فيها ومعها، ما يجعل فكرة خارطة الطريق تتخطى أنقرة والقاهرة. تمثل هذه الثغرة عيبا وميزة في آن واحد. عيب لأنها تحتاج إلى مباركة قوى قريبة من البلدين أو تدور في فلكهما. فتسوية ملف الإخوان لم يعد شائنا مصريا فقط، حيث أدرجته

تدريجيا نحو فقدان القدرة على الصمود والمجابهة للدرجة التي يمكن أن تتبعثر أوراقه الاستعراضية والرمزية التي درج على استخدامها. على الناحية الأخرى، أحرزت مصر تقدما لافتا على مستوى ثبات واستقرار أوضاعها في الداخل، وعلى مستوى القضايا التي يتشابك فيها الطرفان، فبدأ الخطاب التركي يستهلك جزءا من رصيده، فلا النظام المصري سقط، ولا جماعة الإخوان تمكنت منه أو حققت أغراضها، ولم يحدث انتصار مؤزر في شرق المتوسط. وليبيا التي بدت أنقرة متفوقة فيها، قامت القاهرة باستدارة سياسية لتطوير العلاقات مع قوى متباينة في الغرب، تضاف إلى انفتاحها على قوى في الشرق والجنوب، في محاولة لحرمان تركيا من ميزة نسبية استأثرت بها من خلال تطوير علاقاتها مع الأطراف المختلفة في العاصمة طرابلس، مكنتها من التمرکز بجوار حكومة الوفاق.

يبدو حديث جاويش أوغلو هذه المرة منطقيا، فتركيا لا تريد أن تتحمل وطأة الشد المستمر في المنطقة، خاصة أنها تعلم أن إدارة الرئيس الأميركي الجديد جو بايدن قد تكون أكثر حسما معها من إدارة سلفه دونالد ترامب.

وهي النقطة ذاتها التي تلقتي معها مصر فيها، حيث تشعر أنها مقبلة على شد جديد مع واشنطن في ملف الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان، وتريد تخفيض مستوى التوتر مع تركيا، أملا في تحجيم جيوب الإخوان، إعلاميا وسياسيا، تفضي المساحة المشتركة الظاهرة إلى تقريب المسافات في الفترة المقبلة، مع مراعاة أن تركيا والاتحاد الأوروبي إزاء تحركاتها مع قبرص واليونان، أصبح منزعا من استهدافه عمليا، ويخشى الخروج من دائرة التهديد إلى الفعل، وينحدر

رغم مغزى العبارات السياسية التي حملها حديث جاويش أوغلو، وهي ليست الأولى من نوعها، لم يصدر عن القاهرة رد رسمي يعزز ما ذهب إليه من ترويج لخطاب إيجابي، ما يعني التحفظ على ما ذهب إليه أو أنه سابق لأوانه ولا تزال هناك قضايا معلقة لم يتم حل الغازها، ويحتاج خضوعها إلى اختبار حسن نوايا، فأنقرة التي اعتادت عقد صفقات والدخول في مساومات، اعتادت أيضا الماطلة والمناورات.

تركيا تنتهج خطابا وديا تجاه مصر عندما تجد نفسها في موقف أقرب إلى الضعف الذي يؤدي إلى عدم القدرة على الصمود أو عندما تجد أن الإصرار على نهجها يكبدها خسائر باهظة

تنتهج تركيا خطابا وديا تجاه مصر أو غيرها عندما تجد نفسها في موقف أقل قوة، وأقرب إلى الضعف الذي يؤدي إلى عدم القدرة على الصمود، أو عندما تجد أن الإصرار على نهجها سوف يكبدها خسائر باهظة، وأن الجهات المقابلة تقبض على زمام أمور تمثل وجعا لها، إذا لم تتراجع وتعد على الفور إلى جادة الصواب.

يعيش النظام التركي الحالتين معا، فمع تزايد الضغوط الدولية والتلويح بتوسيع نطاق العقوبات من قبل الولايات المتحدة واستنفار الاتحاد الأوروبي إزاء تحركاتها مع قبرص واليونان، أصبح منزعا من استهدافه عمليا، ويخشى الخروج من دائرة التهديد إلى الفعل، وينحدر

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

تشير علامات التذبذب في الخطاب التركي نحو مصر مؤخرا إلى قدر عال من الارتباك في تحديد البوصلة، وعدم اليقين في إمكانية حدوث اختراق إيجابي في شكل العلاقات المتوترة منذ حوالي سبعة أعوام، وتوحي بأن طريق الغطرسة الذي تمضي فيه أنقرة لم يعد مجديا، ولا بد من وقفة وتغيير تكتيكي لامتصاص الغضب العام. تراجع المفعول السياسي والأمني لورقة الإخوان، وفقدت المتاجرة بالتنظيمات المتطرفة بريقها إقليميا ودوليا، وتقود المناكفات في شرق البحر المتوسط إلى صدام مع قوى متعددة، ويواجه التمدد في ليبيا والتمادي في إرسال المرتزقة بجسم حاليا، وبيات الحصول على قاعدة عسكرية في أي من المناطق الليبية خطا أحمر لدول عدة، ناهيك عن الانزعاج الدولي المتصاعد الذي يلاحق تركيا في الكثير من تصوراتها.

وسط هذه المتغيرات وما تحمله من ارتدادات عكسية، قال وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو، الأربعاء، إن بلاده ومصر "تسعيان لتحديد خارطة طريق بشأن علاقاتهما الثنائية"، في إشارة تحمل معنى ضمنيا بإمكانية التوصل إلى قواسم مشتركة، وأن هناك تفاهما مبدئيا حول الخطوط العريضة يمكن أن يتبلور في رؤية واضحة. زاد الرجل في تصريحات نشرتها قناة "تي.آر.تي" التركية على حسابها على تويتر، بالتأكيد أن التواصل مع مصر على الصعيد الاستخباراتي "مستمر لتعزيز العلاقات، والحوار قائم على مستوى وزارة الخارجية، وهناك مساع للتحرك وفق مبدأ عدم التضارب في المحافل الدولية"، ما يشي بثهتة محسوبة.

أردوغان يغازل إسرائيل و«الإخوان» حاضرون

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

أردوغان وتفاعل معه دعما لمشروعاته الخارجية، لاسيما وأن سياسة اليمن الإسرائيلية المجافية للتسوية والمتمسكة بالاحتلال قد ساعدت على ذلك.

وفي الحقيقة، لم يكن هذا الوقت هو المناسب بالنسبة إلى أردوغان لكي يُعرب فيه عن رغبته في نقل تركيا إلى علاقات أفضل مع إسرائيل. فلم يكن في حاجة إلى استرضاء إسرائيل وتطهير العتاب لها ومنحها مثل هذا التصريح الذي لم تغفر به السعودية أو مصر أو الإمارات. فكان الصراع بين أنقرة والقاهرة مثلا، تناحري بينما الخلاف مع تل أبيب يتعلق بمحض أسلوبها حيال الفلسطينيين ولم يؤثر على العمل الاستخباري المشترك.

لقد وضع أردوغان بصراحته في الإعراب عن رغبته في علاقات أفضل مع إسرائيل كل جماعات الإسلام السياسي أمام حقائق وخيارات يصعب عليها تجاوزها أو التعاطي معها. بل يمكن أن نذهب إلى القول إن هذا الضلع صاحب التجربة العميقة في العلاقة مع تل أبيب، يريد مساعدة المعجيين به على تطبيع حواسهم مع فكرة التصالح مع إسرائيل التي ينكرون مشروعيتها، قياسا على المركات والحقائق الأولى التاريخية للفضية الفلسطينية. في هذه الحال يتوجب على هؤلاء التوقف عن إدانة وتخوين الآخرين، لأن مثل هذا المنطق لا يسعد أردوغان باعتباره مطبعا ومتعاوننا استخباريا وثابتا على علاقة استراتيجية معها.

من ناقل القول، إن منهجية "الإخوان" منذ بداية تأسيسهم، لم تكن تشترط التحالف على قاعدة الطهرانية السياسية والوطنية، المتعارضة مع النفوذ الغربي (وفي ثناياه التواجد الإسرائيلي المستتر في أوطان المسلمين). فالعكس هو الصحيح، إذ وقفت الجماعة، على مر تاريخها، ضد القوى الراغبة في تصفية نفوذ الاستعمار القديم، وتصادقت مع حلفائه التقليديين ووقفت معهم. وربما يكون هذا من بين الطبائع الانتهازية، التي تجعل تطبيع أنقرة مع تل أبيب حميدا وتطبيع الآخرين خبيثا.

والثلاوة. لذا تراه يخترع لنفسه تعبيرات مثل "سياسة الربط القوي" بين سياسة إسرائيل تجاه الفلسطينيين ودفع علاقاته معها.

في الموضوع الفلسطيني الذي يجعله الأصوليون قاعدة التخوين والمديح لم يخرج أردوغان عن الخط التطبيعي القديم، فما هو يخرج من المسجد الأثير بعتاب لإسرائيل مرفقا بالتذكير البليغ أن العلاقات الاستخبارية معها لم تنقطع

الشعب التركي، سواء كان الحاكم أردوغان أو غيره، لديه عاطفة قوية تجاه فلسطين، وهذا أمر استثمره

أردوغان يلعب في الهامش المتاح له، ولكل نظام سياسي تجمعه بإسرائيل علاقات طبيعية راسخة، هامش للخلاف. لكن طريقة اللعب التي اختارها، هي أن يرتبط دفع العلاقة مع تل أبيب بسياستها، وهذا يعني موضوعا أن شن إسرائيل الحرب على شعب وممارسة القتل الرقمي بالقصف الجوي لا يوفران مناخا لعلاقات دافئة. وفي الحقيقة ليس في هذا الأمر ماثرة "إسلامية" لأن الولايات المتحدة نفسها كانت تدن قتل الأبرياء وتتحدث عن "الاستخدام المفرط للقوة". أما أوروبا فكانت تدن بأشد العبارات!

يستند أردوغان في خطابه السياسي إلى قضية فلسطين، سعيا إلى الرواج والريح الانتخابي. وكلما مرّ وقت أطول على حكمه يصبح أكثر حاجة إلى الخطاب المتاح له، ولأقصى درجة في الموضوع الفلسطيني. وهذا هو الموضوع الذي يقف فيه عند حدود معينة، ولا يذهب فيه بعيدا مثلما عليه الحال بالنسبة إلى الموضوع الأيديولوجي وتظاهرات التقوى

وقتل مواطنين أتراك متضامنين مع غزة المحاصرة.

ففي نوفمبر 1956 سحبت أنقرة سفيرها من إسرائيل احتجاجا على العدوان الثلاثي، دون أن تكون إسرائيل قتلت أتراكا، بل تشددت في شروط إعادة سفيرها، وطالبت بحل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفق مقررات الأمم المتحدة. لذا فإن الجديد التركي المبشر الذي يتوهمه الأصوليون من حكم أردوغان لا يقوم على منطق، يحكم أن سياسة الدولة التركية تلقزم مسارها الاستراتيجي الموصول بخطوط ووظائف حلف شمال الأطلسي مع بعض المراعاة لمشاعر الشعب التركي حيال مسلمي فلسطين والبلاد العربية. في الموضوع الفلسطيني الذي يجعله الأصوليون قاعدة التخوين والمديح، لم يخرج أردوغان عن الخط التطبيعي القديم. فما هو يخرج من المسجد الأثير بعتاب لإسرائيل مرفقا بالتذكير البليغ أن العلاقات الاستخبارية معها لم تنقطع. للمصلحة من كانت هذه العلاقات وضد من؟



عدي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

أعرب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عن رغبته في "علاقات أفضل" مع إسرائيل، وجاء توقيت هذا الإعلان لحظة خروج الرجل من صلاة الجمعة. أي من قلب الأيديولوجيا ومن عتبة "أيا صوفيا" التي استعادها أردوغان مسجدا في نهاية مارس 2019 وأسمع الناس، بصوته، الثلاوة الأولى بعد الفتح الثاني، فتهلل له المريدون واستبشروا بـ"انتصارات" أخرى وشيكة. في يوم الجمعة 25 ديسمبر 2020 كان المريدون من "الإخوان" ينتظرون من الرئيس التركي كلمات ساخنة، شبيهة بكلماتهم النازلة في ساحة المطيعين العرب. لكن أردوغان حاول استرضاء الرهط الكريم بعبارة مقتضبة غير أيديولوجية، لتذكير إسرائيل بأن "العلاقات الأفضل" معها لا تزال مرتجاة، لكنها تتعرض للعرقلة، من خلال سياستها "غير المقبولة" تجاه الفلسطينيين. ولم ينس في التصريح نفسه التأكيد على أن العلاقات الاستخبارية التركية – الإسرائيلية لم تتوقف في أي مرحلة.

السؤال الآن: طالما أن العلاقات الاستخبارية لم تتوقف، وأن مشكلة أردوغان مع إسرائيل هي معاملة الفلسطينيين أو سياستها حيالهم، أي أنها ليست قضية استلاب وطن وإنكار حقوق أساسية فيه؛ فلماذا لا يُقاس هذا المنطق بالمسطرة نفسها التي قيست بها اتفاقيات التطبيع الأخرى؟ إن كان أردوغان يعاتب، فلم يكن هو مخترع مثل هذا العتب في تاريخ العلاقات التركية – الإسرائيلية. ففي مرحلة الحكم المتلزم بمبادئ أتاتورك، حدث ما هو أكثر من ذلك. بل إن ردود أفعال أنقرة في مناسبات التوتر في العلاقة التركية – الإسرائيلية، كانت أشد من ردود أفعال أردوغان على الحروب التي شنتها إسرائيل ضد غزة، أو هجومها بحرا على السفينة مرمرة